

سوريا عبر التاريخ



مساء 25.9.2013 بناء على رغبة احد الاصحاب السويصريين، القيتُ محاضرة تحت العنوان اعلاه. كان الحضور محدودا لكن مميزا. تلاه عشاء سوري مع الهريسة النبكية وحلاوة الجبن الحموية ثم القهوة العربية السورية، على انغام يا مال الشام وعرض بعض معالم سوريا. كانت التعليقات رائعة وردّات الفعل ايجابية. وهذا ملخص المحاضرة :

كانت سوريا غائبة عن الشاشات، فجأة في 15.3.2011 بدأ العالم يسمع الاخبار الأليمة. والتاريخ يشرح لنا تسلسل الاحداث في شرقنا الذي كان محور العالم القديم... ظهرت المسيحية في فلسطين وانطلق بولس من دمشق عاصمة سوريا السياسية ثم من انطاكيا العاصمة الفكرية، ليبشر روما بالانجيل...

وسنة 570 ولد النبي محمد في مكة حيث عمل وابدع في التجارة ولقب بـ الأمين لاخلاقه الحميدة... بدأ يبشر بالاسلام وتمكّن من توحيد القبائل العربية حول الله الواحد الاحد خلال اقل من عشرين سنة... ويوم دخل الكعبة طلب من أنصاره إزالة كافة الصور ما عدا صورة مريم المقدسة وابنها عيسى، كما قال الازرقى، وهذا ما يؤكد وجود النصرانية في الجزيرة العربية.

من اسباب محبته للنصارى ان والده عبدالله كان موحدا وابن عمه ورقة قس النصارى. مرضعته ومربيته كانتا على النصرانية. على طريق الشام التقى الراهب بحيرا الذي احبّه ونصح عمه ابا طالب أن يحرص عليه من اليهود... تزوج من خديجة حسب طقوس النصارى وعاش معها وحدها حتى وفاتها، هذا ما جاء في السيرة الحلبية لابن هشام... كان يساعد اليتيم والارملة والمعوز والمسجون والمسافر، حسبما جاء في الاية 2.177 وهذا يذكرنا بموعظة المسيح وطوباياته على الجبل.

كان النبي يعتبر يسوع ابن مريم مسيح الله وكلمته وروحه واكد القرآن الكريم ولادته من عذراء وذلك قبل روما بقرون. وخصّ العذراء مريم وعائلتها بسورتين كما اكد صحة الانجيل في ايات عديدة منها: وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه... وفتح النجاشي النصراني ابواب قصره للصحابة حين استجدوا به وتلوا امامه سورة مريم... ترعرع وكبر النبي في جو مفعم بالايمان وقريب من الروح الابيونية الطيبة.

ثم ظهر الخلاف بين السنة والشيعة لكن الفتوحات لم تتوقف وانتصر الاسلام على الامبراطورية البيزنطية والفارسية...

وتراجع وضعف المسيحيون وبدأ عذابهم حين استلم الحكم اسلام غير عربي مثل السلجوقيين والمماليك والعثمانيين... ومجيء الصليبيين خلف الاضرار والاذية لمسلمي ومسيحيي المشرق بسبب تصرفاتهم كـ محتل. اما مظالم العثمانيين المستعمرين والمآسي التي عانى منها كل المشرق بمسلميه ومسيحييه خلال خمسة قرون، فحدث ولا حرج.

في عام 2014 احتلّ العراق وما يزال، ويُدمّر حتى الآن رغم مسؤولية المحتل عن امن البلاد المحتلة حسب اتفاقية جنيف. وهنا لا بد من الحديث عما يحصل في سوريا من قتل وذبح ودمار واستباحة لكل المحرّمات من تدنيس المساجد والكنائس وقطع الرؤوس والأوصال على ايد غريبة من شيشان وافغان واعراب واجانب على تراب بلاد الشام المقدّسة، ومن حمص الى دمشق ف حلب، ومن بيروت الى القصير ف معلولا، حيث يتكلم المسلم والمسيحي لغة ابن مريم... علما بان القرآن الكريم والنبي محمد وكافة الصحابة يدينون ويرفضون هذه التصرفات التي لا تمتّ الى الدين الحنيف أو الى المنطق بصلّة...

اما البحث في الجهاد ف يتطلب الكثير من الدراسة والتعمق لاعطائه حقه اذ ان هنالك اكثر من اربعين اية تتكلم عنه وهذا ما فرض الاكتفاء بذكر بعض الاحاديث والاحداث التي تثير العقول ومنها حديث النبي مع الصحابة وموقفه مع نصارى نجران :

- " لقد عدنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر... فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله فقال هو جهاد الروح..."
- لدى زيارة نصارى نجران الى مكة، سمح لهم النبي بالصلاة في مسجده الخاص... حسبما جاء في ابن هشام.
- اما الخليفة ابوبكر فقد اوصى الجيش قائلا : " لا تخونوا، لا تبالغوا، كونوا اوفياء، لا تقتلوا طفلا أو امرأة أو شيخا. لا تعقموا نخلة ولا تحرقوها. لا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا شاة او بقرة او جملا الاكي تاكلوا. سوف تقابلون اشخاصا كرسوا انفسهم وحياتهم للتسك في القلالي. اتركوهم لعباداتهم وصمتهم."
- كان الخليفة عمر في زيارة كنيسة القيامة، فحان وقت صلاته، ابتعد وصلى كي لا يستولي المسلمون على الكنيسة.
- الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، رحمه الله، كان يعلم ان اسلام سوريا هو اسلام القرآن الوسطي المعتدل.
- وسماحة مفتي الجمهورية الشيخ احمد بدر الدين حسون صرّح للصحافي روبرت فيسك من جريدة الاندبندانت انه قابل قتلة ابنه سارية وسامحهم امام القاضي... اليس هذا هو الاسلام المسيحي السوري المعتدل...؟

لقد اعلن العديد من المشايخ أن 'محرابة النظام في سوريا جهاد الزامي على المسلم...' الجهاد في سبيل الله شيء وقتل البشر وتدمير الحجر شيء اخر. والله ليس بحاجة لمن يدافع عنه... ولنتذكر أن ابليس حين عصى أمر الله لم يقتله الله...

يؤكد القرآن الكريم ان المسيحي والمسلم يعبدون الله الواحد الاحد. وعلى المسيحي ان يحكم حسبما ورد في الانجيل ويبين ما يجهل البعض من تفسير للآيات وان النصارى هم اقرب الناس مودة للمؤمنين..

ومسك الختام هو الحديث عن سوريا والاسلام السوري : سوريا سيدة طاعنة في السن لكنها صاحبة واعية... عمرها يتجاوز الستة الاف سنة. غزاها العديد من الشعوب والحضارات والاديان... استوعبت الجميع و تملكت حضاراتهم لكنها لم تحارب سوى الاعداء الجنوبيين ايام ملوك آرام الشام. ومكونات الشعب السوري تتعايش باحترام متبادل وتبني البلاد بظل أمن تُحسد عليه... ورغم المحسوبيات والفساد والمحابيات المستشرية، فقد اوصلت الدولة الماء والكهرباء والتلفون والخدمات الصحية الى حوالي خمسة وثلاثين الف قرية، وبنيت المدارس والجامعات، لذا كانت سوريا من الاكثر ثقافة بين الدول...

يحق لابناء الشعب السوري ان يدرسوا مجانا من الحضارة الى الجامعة كما يحق لهم ان يتعالجوا في مشافي الدولة باسعار مخفضة. اما المواد التموينية فهي مدعومة من الدولة بنسبة عالية... كي يقال عن حقّ : ان سوريا هي ام الفقير...

معلومات هامة : حسب الدستور السوري الاسلام هو دين رئيس الدولة... الشريعة الاسلامية هي احدى مصادر الدستور الذي يمنع تشكيل احزاب على اساس ديني او عرقي... المساواة بين الجميع يحميها الدستور... المساجد والكنائس تحصل على الكهرباء والماء مجانا... يُمنع ذكر دين المواطن على الوثائق الرسمية... المسيحيون لهم قانونهم الخاص للاحوال الشخصية، سجلات الدولة تعتمد على الوثيقة الكنسية في الزواج أو الطلاق...

في عشرينات القرن الماضي اثناء الثورة على الفرنسي، صلى المسلمون والمسيحيون سوية في كنيسة واحدة... بعد التفجير الكبير الأول في القصاع، مفتي الجمهورية شارك في الصلاة على ارواح كافة الشهداء، في كنيسة الصليب ب دمشق... وحين انقطاع الكهرباء في المالكية في رمضان الماضي على طلب الشيوخ، قرعت الكنائس أجرسها لتعلن ساعة الافطار...

في الواقع ان اسلام القرآن، ليس متطرفا كما يصفه البعض... فقد ضخم الاعلام الامور بناء على بعض فتاوى المتطرفين. صحيح

ان الاسلام يرفض العديد من العقائد المسيحية، لكن العكس هو ايضا صحيح... وبما ان المسيحي هو عربي مثل المسلم ومسيحي مثل الغربي، يتوجب عليه بناء الجسور وهدم الجدران بين الشرق والغرب...

يتساءل البعض كيف وصلت سوريا الى هنا؟... والجواب ان المستعمر كان وراء انعدام ثقة الشرقيين به :

- مبشرو الغرب قسموا مسيحيي المشرق الى اورثودوكس وكاثوليك وانجيليين...
 - ردّات فعل الغرب على محرقات النصارى من قبل العثمانيين كانت تحمل طابع التحدي...
 - وعد بلفور لسنة 1917 كان سبب مأساة شعوب المشرق عامة والشعب الفلسطيني خاصة...
 - الانتداب الفرنسي تنازل عن اراض سورية عديدة وقسم البلاد الى اربع دول طائفية الاتجاه...
 - وباع اسكندرون الى تركيا رغم ان انطاكية كانت عاصمة الاورثودوكسية السورية منذ ايام المسيح...
 - قبل ارقامهم على مغادرة سوريا، قصف الفرنسيون دمشق ومجلس النواب السوري... للذكرى والتاريخ...
- كل ما قلنا اعلاه اصبح من التاريخ، والان ما هي عقدة العقد السورية ولماذا الحرب الكونية على سوريا؟...

- هل لان بعض الشرق والغرب يريد سوريا دولة قبائلية لا دولة ممانعة وطنية؟...
- هل لان سوريا هي محور الاشعاع الوطني السوري والعربي؟..
- هل لان سوريا هي دولة علمانية تحترم كل الاديان والاثنيات؟...
- هل لان التعايش الوطني السوري يزعج الجار الجنوبي وهو يسعى حثيثا ليصبح طاهرا نقيًا؟...
- هل لان "القوى الظلامية" مترددة في الحديث عن النفط والغاز المتواجد في سوريا وسواحلها؟...
- هل لان خط نقل غاز الجنوب نحو الشمال يتعارض في سوريا مع خط نقل الغاز من الشرق نحو الغرب؟...
- هل لان سوريا ليست مدينة لأية مؤسسة دولية او مرتبطة بأية قروض او شروط مصرفية؟...
- هل لان سوريا تأكل مما تنتج وتلبس مما تحيك وتعالج امراض شعبها بادوية معاملها؟...
- هل لان البعض يحلم بتحقيق رغبات الاغراب وهم يتكلمون عن الفوضى الخلاقة؟...
- هل لان احفاد اشعيا و عاموص و ارميا يشتهون تحقيق نبؤاتهم المشؤومة بحرق ارام دمشق؟...
- هل لان ابواب سوريا مغلقة امام بيبسي كولا وماكدونالد والمأكولات المعدلة الجينات؟...

الخاتمة

بما ان نهاية مأساة الشعب السوري اصبحت من الامور الطوباوية، لنستمع الى تساؤلات المواطن السوري المنطقية :

- ما هو سبب الغاء عضوية سوريا في الجامعة العربية وهي من الدول السبع المؤسسة؟...
- من اعطى الحق لأحد وزراء الخليج كي يقرر 'اعادة سوريا الى العصر الحجري'؟...
- كيف يسمح لنفسه احد وزراء الناتو ان يقول 'ان (الرئيس) بشار لا يستحق العيش على الارض'؟...
- اليس المقصود من تدمير سوريا هو كي يعيدوا بناءها وعلى حسابها؟...
- هل العقوبات الاقتصادية تسبب المصاعب لقادة الشعب ام للشعب المثخن بالجراح؟...
- ليست معامل صناعة الاسلحة في الغرب هي المستفيدة الأولى من تدمير الاسلحة؟...
- اذا كانت سوريا مارقة كيف تدعى الدول التي تمول وتسألح قاطعي الرؤوس بالساطور وأكلة القلوب؟...

- أليس استهداف معلولا برهان على رغبتهم بالغاء مسيحيي الشرق، كما في العراق ومصر وفلسطين ولبنان؟...
- اذا كانت سوريا مليئة بالفساد، كيف يدعى سارق الطحين والزيت والقمح والنفط والمعامل واملاك الشعب؟...
- ما هي اوصاف الدولة التي لا تدافع عن مواطنيها ومؤسساتها من تجاوزات المرتزقة عبّاد النفط والدولار؟...
- لماذا خنقوا صوت دولة مؤسسة للامم المتحدة باغلاق سفاراتها في دول الغرب ومن يسير في ركبهم؟...
- كيف ل سوريا ان تُسمع صوتها للعالم واقمار عرب سات ونيل سات مغلقة في وجهها؟...
- لماذا سانا محظورة وكل وسائل الاعلام الغربي تبتّ فقط ما تمليه وكالة رامي عبد الرحمن من لندن؟...

المواطن السوري يسأل حزينا وبصوت عالٍ :

- هل سبق وسمعت يا اوربا عن سوري انتحاري، قاتل، مجرم، سارق، بائع مخدرات، مغتصب، او محتال؟...
- هل سبق وسمعت يا اوربا عن لاجئين سوريين غرقوا امام صخور سواحل اليونان او لاميدوزا في ايطاليا؟...
- لماذا كان الرئيس السوري سنة 2008 ضيف الشرف على الرئيس الفرنسي وبعد ثلاث سنوات 'فقد شرعيته'؟...
- الدكتور عامر حسني لطفي، رئيس هيئة التخطيط، بحث سنة 2010 مع زميله الفرنسي متابعة العقود المشتركة بين البلدين. هل يعقل ان تغلق فرنسا السفارة السورية في باريس بعد اقل من سنة و بدون سبب؟...
- في خطابه بجامعة القاهرة يوم 4.6.2009 عرض الرئيس اوباما المصالحة بين الاسلام السياسي ودول الغرب. اين نحن من هذه المصالحة وأين هو الإسلام السياسي اليوم؟...

السؤال الكبير والآخر : اذا رحبت سوريا المعركة الحالية، من سيكون الخاسر الاكبر؟...

الغرب يبحث عن حل يحفظ ماء وجهه. والمطلوب كبش محرقة. سوريا تبكي شهداءها ومؤسساتها واماكن العبادة المدنسة، ولما كانت سوريا لا تركع إلا أمام الله، يرفض المتعطشون للدماء والدموع انهاء المأساة منتظرين سقوط الرئيس ك كبش محرقة... لكن الرئيس هو رمز وحدة الوطن، واذا غادر السفينة وهي في خطر، يعتبر جباناً وخائناً... وطال إنتظارهم وقد يملأوا الإنتظار... فجأة سمعنا صوتاً قادمًا من الشمال يعرض قنبلة المعوزين ك كبش محرقة، فوق جهازة الغرب في فخ السياسة السورية الروسية وتلقفوها سلماً للنزول من أعلى الشجرة. وها هم يعملون ليظهروا في موقع المنتصر، لأن سوريا تخلت عن سلاحها الكيماوي!... ملوك الرمال أحرقوا بنفطهم البلاد والعباد في سوريا... والسوريون سيعيدون بناء سورياهم الحبيبة، حتى اذا عاد المسيح في اخر الازمان تهلل اجراس الكنائس : الله محبة، مع دعاء المآذن : الله اكبر... كي يسمع العالم ويرى ويفهم ان السلاح لا يخلق سوى الدموع والعذاب والاحزان، كما قال الحبر الجليل البابا فرانسيس.

سوف يحتاج المواطنون السوريون الى اجيال طويلة كي ينسوا احزانهم والامهم ويعيدوا بناء العلاقات الطيبة بينهم وتعود الثقة للناس ف ينسوا معاناتهم وتتوحد قلوبهم... يحتاج المسيحي الى سنوات كي يستعيد ثقته بجاره المسلم وكي يتذكر المسلم ما قاله القرآن الكريم ان جاره المسيحي هو اقربهم مودة للذين امنوا... وتعود سوريا الحبيبة وتولد مجددا مثل طير الفينيق، الله حامياها...

لوجانو في 25.9.2013

فؤاد عزيز قسيس

